

(من كتاب الحج وروح العبادة فيه)

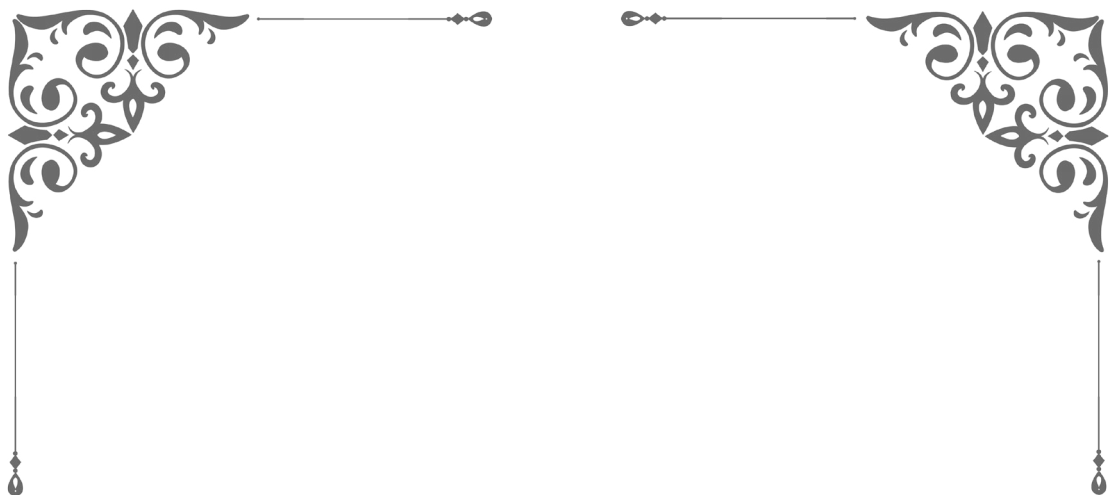
(٢٠)

الحج وترك الترفه

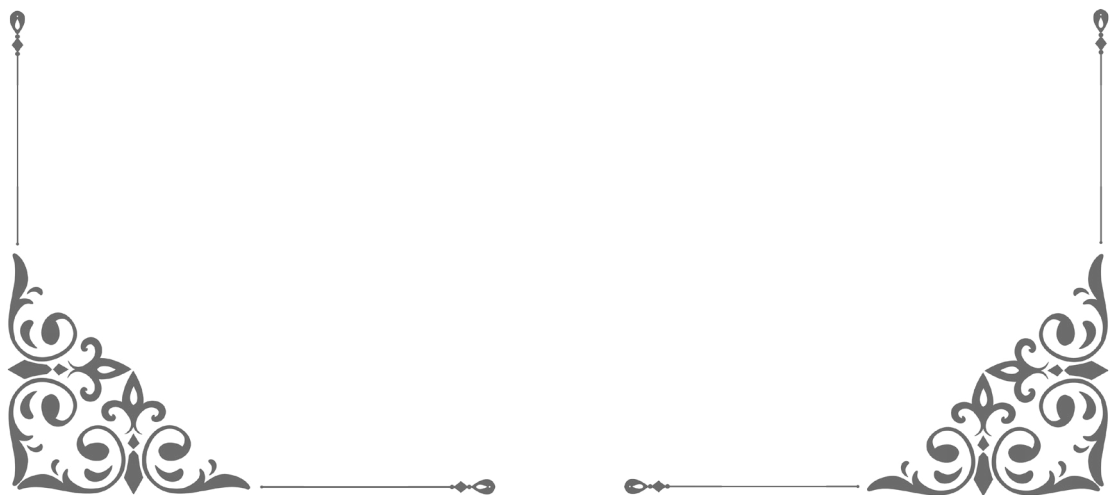


تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني



محفوظ جميع الحقوق





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحجُّ طريق لاكتساب كل فضيلة، وسبيلٌ لسمو النفس وارتقائها؛ ومما يكتسبه الحاجُّ في حجِّه: علو همّته، واهتمامه بمعالي المقاصد، ومعلومٌ أنّ الحاجَّ إنّما خرج من بيته لأداء عبادة الحجِّ، وكلُّ ما سوى ذلك فهو دون هذا المقصد الشريف بكثير، وسيترك بعض ما اعتاد عليه من طعام وشراب ومبيت وراحة، فعليه توطين نفسه على الصبر والتحمّل والاحتساب.

ولمّا كان الترفه في الحجِّ ظاهرًا في هذه السنوات المتأخرة، والتوسّع في هذا الجانب بارزًا كان لهذا وقفةً مع هذه الصفحات.

اعلم وفقك الله -أيّها الحاجّ- لطاعته أنّ الترفه الزائد مذموم، والتوسّع في هذا ممقوت في كلّ أحوال المرء -وفي الحجِّ أشدّ- وهو خلاف ما كان عليه السلف الصالح في حجّهم، فقد كانوا متواضعين خاشعين لله فيه، فعن عبدالله بن أنس بن مالك -رضي



الله عنه - قال: (حَجَّ أَنْسٌ عَلَى رَحْلٍ، وَلَمْ يَكُنْ شَحِيحًا، وَحَدَّثَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ وَكَانَتْ زَامِلَتُهُ) (١).

والرحل هو: الشِّدَادُ الذي يُوضَعُ على ظَهْرِ البَعِيرِ لِيُرَكَّبَ عليه.

وقوله: (وكانت زاملته) الزَّامِلَةُ هي: البَعِيرُ الذي يُحْمَلُ عليه الطَّعَامُ والمَتَاعُ. وعادةُ الكُبراءِ أَنْ تكونَ الزَّامِلَةُ غيرَ الراحلةِ، فَمِنْ تَواضَعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كانَ راحِلَتُهُ هي زاملته، وحجَّ على رَحْلٍ مُتواضِعٍ، ففي الحديثِ: تَرَكَ التَّرْفَ في الحجِّ، وإظهارُ التَّواضَعِ والمَسْكَنَةِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ.

قال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب: (الترغيب في

التواضع في الحج والتبذل، ولبس الدون من الثياب، اقتداءً بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام) ثم ذكر عددًا من الأحاديث الدالة على ذلك، ومنها حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِأَهْلِ عِرْفَاتِ أَهْلِ السَّمَاءِ، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي جاءوني شعثًا غبرًا" (٢).

(١) رواه البخاري

(٢) رواه ابن خزيمة، وصحَّه الألباني.



وقد سار على هذا الصالحون في حجهم، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو في طريقه إلى مكة -وقد رأى أناساً محرمين-: (تسعثون، وتغبرون، وتتفلون، وتضحون، لا تريدون بذلك شيئاً من عَرْض الدنيا، ما نعلم سفرًا خيرًا من هذا -يعني الحج-).

وقال مجاهد: (قال رجلٌ عند ابن عمر: ما أكثر الحاج؛ فقال ابن عمر: ما أقلهم، ورأى ابن عمر رجلاً على بعير على رُحْلٍ رثٍ خطامه جبل فقال: لعل هذا)

وقيل لبعض الصلحاء: ما المعنى في شعث المحرم؟ قال: (ليشهد الله تعالى منك الإعراض عن العناية بنفسك، فيعلم صدقك في بذلها لطاعته).

وقال النووي -بعد ذكر محظورات الإحرام-: (قال العلماء: والحكمة في تحريم اللباس المذكور على المحرم ولباسه الإزار والرداء أن يبعد عن الترفه ويتصف بصفة الخاشع الذليل، وليتذكر أنه مُحْرِمٌ في كل وقت، فيكون أقرب إلى كثرة أذكاره، وأبلغ في مراقبته وصيانيته لعبادته، وامتناعه من ارتكاب المحظورات، وليتذكر به الموت ولباس الأكفان، ويتذكر البعث يوم القيامة،



والناس حفاة عراة مهطعين إلى الداعي، والحكمة في تحريم الطيب والنساء أن يبعد عن الترفه وزينة الدنيا وملاذها، ويجتمع همه لمقاصد الآخرة)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإحرام مبناه على مفارقة العادات في الترفه، وترك أنواع الاستمتاعات، فلا يلبس اللباس المعتاد، ولا يتطيّب، ولا يتزيّن، ولا يتظلل أو يلازم الخشوع والإخشيان، ويقصد بيت الله أشعث أغبر)

فينبغي على الحاجّ أن يكون همه العناية بنسكه، بعيداً عن الاهتمام بالمظاهر العامة، وصرف الهمة للمطعم والمشرب والمبيت - والتي قد توفّرت في زماننا بمالم تتوفر من قبل - وكم رأينا من خصومات، وربما سباب وتعدي على الآخرين بسبب تقصير الحّمّلات في خدمة الحاجّ، ولئن كان من حق الحاجّ توفير ما يحتاجه من هذه الأمور، فقد أنفق من ماله الكثير طلباً للراحة والتفرّغ للعبادة إلا أنه ينبغي عليه إن لا يكون هذا همه، فهو إنّما خرج من بيته، ودفع هذه الأموال لأجل الحجّ، وإن رأى تقصيراً في حقوقه طلبه بطريقة لا تُؤثر على حجّه، فالحجّ أولى أن يُحافظ



عليه، فيكون مبتعدًا عن الخصام والمشاجرات، وفعل أمورًا ربما تُؤثر على كمال حجه تأثيرًا كبيرًا.

وينبغي للحاج -أيضًا- أن يستحضر أن كل شيء فاته من

مأكول ومشروب وراحة نوم، فهو سيُدركه -بإذن الله- بعد حجه، ولكن أين سيُدرِك الطواف والسعي، والمبيت في منى، والوقوف في عرفة، والمبيت في مزدلفة، ورمي الجِمار، فهذه المناسك العظيمة -والتي لها شأنٌ عند الله- لا تكون إلا في هذا الموسم، فلذا ينبغي أن يكون همّه هو كيف أتقن هذه العبادات، وكيف أؤديها على أكمل وجه، وكيف يرضى الله بها عني، وكيف أنال من ورائها الأجر، وكيف يكون لها الأثر عليّ في إيماني وتقواي، وفي علاقتي مع الله، وعلاقتي مع الطاعات، أمّا ما سوى ذلك، فلئن فاته شيء فسيعوّضه في أي وقت.

ولا يعني ذلك عدم الاهتمام بنظافة الجسد والملابس،

والاغتسال، وتغيير الإحرام، أو أن يكون متبدلاً تبدلاً مذمومًا، أو يظنّ -القارئ- الأمر بترك الترفه بالأكل والشرب، وطلب الراحة، وإنّما المقصود أن لا تكون هي الهمّ الأعظم، أو الانشغال بها



الحجّ وترك الترفه



كثيراً، أو الدخول في مشاحنات مع مشرفي الحملات لأجل نقص الخدمات ممّا يُؤثر على كمال الحجّ، وليعلم الحاجُّ أنّ الإحرام مبناه على مفارقة العادات في الترفه، وترك أنواع الاستمتاع، فيا حُجّاج بيت الله حُجّوا كما حَجّ الصالحون، وإياكم والترفه والتوسّع في الرفاهية، واعلموا أنّكم في عبادة عظيمة الأجر فيها على قدر النّصب^(١).



(١) [انظر: هكذا حجّ الصالحون والصالحات للدكتور علي عبدالله الصياح]